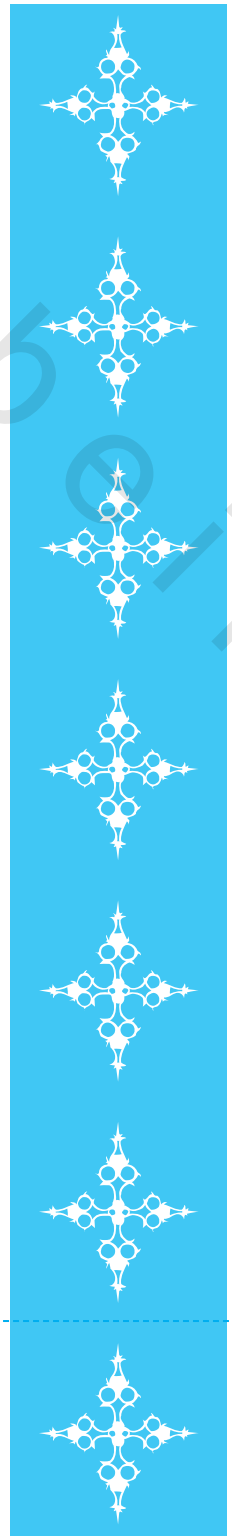

الجلسة الثالثة :

التدبُّر عند المفسرين ٢

الورقة الثانية:

مفهوم التدبُّر في ضوء القرآن والسنة والآثار

د. محمد بن عبدالله الربيعة

obeikandl.com

الورقة الثانية:

د. محمد بن عبدالله الربيعة

مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة والآثار

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾ [الكهف:١]، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن التدبر لكتاب الله تعالى من أولى الغايات التي أنزل من أجلها قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، وحين نبتغي الوصول إلى مفهوم التدبر وحقيقته فلا بد من الوقوف في الأدلة من القرآن والسنة والنظر في أقوال السلف وأحوالهم في تعاملهم مع القرآن وتلقيهم له، ذلك أن أعظم منهج لتدبر كتاب الله تعالى هو منهجهم القويم، وقد كان من توفيق الله تعالى أن قمت بإعداد بحث حول (منهج السلف في التلاوة والتدبر) فرأيت أن أستخلص منه ورقة عمل للملتقى الأول للتدبر حول مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم.

والهدف منها تحرير مفهوم التدبر وتحقيقه لكونه من لوازم قارئ القرآن وواجباته، وليتميز عن المصطلحات القرآنية الأخرى، وليكون منطلقًا للمشروع المبارك الذي

يهدف إلى إحياء التدبر في الأمة لربطها بكتاب الله تعالى ليكون منهج حياة وسبيل نجاة بإذن الله تعالى، وهو المأمول سبحانه في تحقيق ذلك.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى قسمين:

القسم الأول: الدراسة النظرية: التأصيل والتحرير.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية: التحليل والاستدلال.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذه الدراسة خالصة لوجهه، وأن يحقق فيها الحق والصواب، وينفعني بها ومن بلغ إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❑ **القسم الأول:** الدراسة النظرية: التأصيل والتحرير:

❋ المحور الأول: معنى التدبر لغة، ومفهوم تدبر القرآن:

أصل التدبر لغة:

بالنظر والاطلاع في أقوال أهل اللغة نجد أنها تتلخص في أن أصل معنى التدبر مأخوذ من النظر في أدبار الشيء وعواقبه ونهاياته[1].

ففي معجم مقاييس اللغة: «أصل التدبر من: دَبَرَ -بفتح الدال والباء-، وجُلُّه في قياس واحد، وهو: آخر الشيء، وخلفه؛ خلاف قُبُله»[2].

وفي لسان العرب: «دبّر الأمر وتدبّره أي نظر في عاقبته وعرف الأمر تدبرًا أي بآخره؛ فتدبر الكلام أي النظر في أوله وآخره ثم إعادة النظر مرة بعد مرة.. والتدبر

---

(١) انظر لسان العرب ٤/ ٢٧٣، التعريفات للجرجاني ص ١٦٧، المعجم الوسيط ١/ ٢٦٩، مختار الصحاح ص٩٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٦٦.

obeikandi.com

في الأمر: التفكر فيه»[1].

وفي التعريفات للجرجاني: «التدبر: عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب»[2].

وفي المعجم الوسيط: «تدبر الأمر: ساسه ونظر في عاقبته»[3].

المراد بتدبر القرآن:

بالنظر في مدلول كلمة التدبر في اللغة فإننا سنحدد مفهوم تدبر القرآن في النظر فيما وراء الآيات من المعاني والدلالات والغايات.

ولكننا حيث نضع هذه الكلمة في إطار النصوص والآثار مع اعتبار المعنى اللغوي فإننا نجد أنها تمتد إلى ثلاثة أمور:

أولًا: اعتبار مقدمات التدبر، وهي تهيئ وتفاعل القلب واللسان والجوارح، ويؤكده قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق:٣٧].

وقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤] فنص على القلوب حضورًا وإيمانًا.

ثانيًا: اعتبار عملية التدبر، ويؤكده قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، وقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ

(١) لسان العرب ٤/ ٢٦٨.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١٦٧.

(٣) المعجم الوسيط ص ١/ ٢٦٩.

﴿جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، فعقب ذلك التدبر بما يدعو للتأمل والنظر في صدق ما دلت عليه.

ثالثًا: اعتبار الثمار والنتائج، وهي العلم والإيمان والعمل، ويؤكده قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، فصرح على التذكر والاتباع، وهذا المعنى -أعني: اعتبار الثمار والنتائج- متعلق بالمعنى اللغوي من حيث أنه داخل في معنى العواقب والنهايات، ولذا فلا بد من اعتباره في مفهوم تدبر القرآن، وهو الجانب الذي ظهر في أقوال السلف وأحوالهم.

وقد أكد شيخ الإسلام لزوم التدبر لهذا الجانب فقال: «والإنسان يقرأ السورة مرات حتى سورة الفاتحة ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك حتى كأنها تلك الساعة نزلت فيؤمن بتلك المعاني ويزداد علمه وعمله، وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبر بخلاف من قرأه مع الغفلة عنه»[1].

والآثار الواردة عن السلف مستفيضة في الدلالة على الأمور الثلاثة كما سأفصله في هذا البحث بإذن الله.

وعليه فيمكن أن نبين التدبر بمفهومه العام بأنه:

(الوقوف عند الآيات، والتأمل فيها؛ للانتفاع بها إيمانًا وعلمًا وعملًا):

ولنا مع هذا التعريف وقفتان:

الوقفة الأولى: بيان ما يشمله التعريف:

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ١٦.

obeikandl.com

الوقوف عند الآيات يشمل ثلاثة أمور:

أولًا: الإقبال والتفاعل، وهو يمثل مقدمة التدبر، ويتحقق بثلاثة أمور:

١- بالقلب، وذلك بإحضار القلب إيمانًا وتعظيمًا وخضوعًا للقرآن وللمتكلم به وهو الله تعالى، واستحضارًا لمقاصد القرآن العامة، واستشعارًا بأنه هو المخاطب بهذه الآيات.

٢- باللسان، وذلك بتلاوة الآيات بترتيل وترسل، وتحزن وتباكي، وترديد للآية، وتفاعل معها بالسؤال والتعوذ والاستغفار عند المرور بما يناسب ذلك.

٣- بالسمع، وذلك بإلقاء السمع وإرعائه عند سماع القرآن.

وقد أشار لهذا المعنى واعتبره من التدبر عددٌ من العلماء:

فقال ابن القيم: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ»(١).

وقال السيوطي: «وتسن القراءة بالتدبر والتفهم... وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرَّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذَّ أو تنزيه نزَّه وعظَّم، أو دعاء تضرع وطلب»(٢).

ثانيًا: النظر والتأمل، وهو يمثل عملية التدبر، ولذلك نصصت عليه في التعريف، ويتحقق بإمعان النظر وإعمال العقل في عدة أمور:

---

(١) الفوائد ص٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٢٧.

١- إدراك مغزى الآيات ومقاصدها.

٢- تفهُّم معانيها.

٣- استخراج دلالاتها.

٤- تبين ما فيها من الآيات والعبر، والأوامر والنواهي، والوعد والوعيد.

وقد أشار لهذا المعنى واعتبره من التدبر عددٌ من العلماء:

١- قال الخازن: «ومعنى تدبُّر القرآنِ تأَمُّلُ معانيه، والتفكر في حِكَمِهِ، وتبصُّرُ ما فيه من الآيات»(١).

٢- قال ابن القيم: «وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة، ولهذا جاء على بناء التفعل كالتجرع والتفهم والتبين»(٢).

٣- قال الشوكاني: «إنَّ التدبر هو التأمُّل؛ لفهم المعنى، يقال: تدبرتُ الشيءَ: تفكرتُ في عاقبته، وتأملته، ثم استعمل في كل تأمُّل»(٣).

٤- قال ابن عاشور: «فمعنى: ﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢] يتأمَّلون دلالته، وذلك يحتمل معنيين: أحدهما أن يتأمَّلوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبر تفاصيله؛ وثانيهما أن يتأمَّلوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنَّه من عند الله، وأنَّ الذي جاء به صادق»(٤).

ثالثًا: التذكر والاتباع، وهو يمثل: ثمرة التدبر، ويتحقق بأمرين:

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٤٠٢.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ١٨٣.

(٣) فتح القدير ١/ ٤٩١.

(٤) التحرير والتنوير ١/ ٩٩٤.

١- التذكر علمًا وإيمانًا[١].

٢- الاتباع عملاً وسلوكًا.

وتضمن التعريف له مع دخوله في الوقوف عند الآيات لأمور:

١- أنه الغاية المقصودة من التدبر.

٢- ليتميز به التدبر عن التفسير والاستنباط والفهم وغيرها من المصطلحات القرآنية الأخرى.

٣- أن يكون قصد القارئ والمتأمل في الآيات التذكر والاتباع ابتداءً وانتهاءً.

وقد أشار لهذا المعنى واعتبره من التدبر عددٌ من العلماء:

فقال السعدي: «يأمر -تعالى- بتدبر كتابه، وهو التأمُّل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك»[٢].

وقال الشنقيطي: «تدبر آيات هذا القرآن العظيم أي: تصفحها، وتفهمها، وإدراك معانيها، والعمل بها»[٣].

وبهذا يمكن أن نقول بأن مفهوم التدبر الكامل هو:

(الوقوف عند الآيات؛ بتفاعل القلب واللسان والجوارح معها، والنظر والتأمل فيما تدل عليه من المقاصد والمعاني والدلالات والهدايات، بقصد الانتفاع بها؛ إيمانًا وعلمًا وعملاً).

(١) القول بأن التذكر يورث العلم، لأنه إذا تذكر الشيء المغفول عنه كان بمثابة العلم به، قال ابن القيم: «ويسمى تذكرًا لأنه إحضار للعلم الذي يجب مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه». مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٢)، وأما الإيمان؛ فالمقصود به يقظة القلب وتصديقه بعد غفلته.

(٢) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن ١/ ١٨٩.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧/ ٤٢٩.

الوقفة الثانية: وجه اعتبار لفظ الوقوف عند الآيات، ولفظ الانتفاع.

اعتبار لفظ الوقوف، ولفظ التذكر والاتباع في المفهوم ظاهر من وجهين:

أولًا: أن لفظ الوقوف عند الآيات قد ورد وتكرر في استعمال السلف، وقد أحصيت في ذلك ثمانية مواضع، فهو بذلك لفظ معتبر ولا شك أن اعتبار مفهوم السلف هو الأولى.

ومما ورد عنهم في ذلك:

في معنى الوقوف عند الآيات بالتفاعل معها:

١- روي عن عباد بن حمزة قال: دخلت على أسماء وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، قال: فوقَفَتْ عليها؛ فجعلَتْ تستعيذ وتدعو»[(١)].

٢- قال بعضهم: إني لأفتتح السورة، فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها، حتى يطلع الفجر»[(٢)].

في معنى الوقوف عند الآيات بالتأمل فيها:

١- روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لا تهذوا القرآن كهذ الشعر ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب»[(٣)].

٢- عن مجاهد قال: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية منه وأسأله عنها فيم نزلت وكيف كانت»[(٤)].

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٢٥.

(٢) فضائل القرآن لابن كثير ص ٢٢٩.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب ٢/ ٢٦٠ ح ٢٠٤١.

(٤) أخرجه الدارمي ٢/ ٢٣٣ رقم ١١٧٦.

obeikandi.com

قال القرطبي: «قرأ مجاهد على ابن عباس قراءة تفهم **ووقوف عند كل آية**»(١).

٣- عن عبد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه قال: «إذا حدثت عن الله حديثًا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده»(٢).

في معنى الوقوف عند الآيات للانتفاع بها إيمانًا وعلمًا وعملاً، وهو الغالب في أقوال السلف وأحوالهم:

١- ما أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجل قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له أحد أصحابه: «يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين»، قال: «فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتاب الله عز وجل»(٣).

٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ، فتتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن، ولقد رأيت اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه وينثره نثر الدقل»(٤).

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ٣٦.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب ٢/ ٢٦٠ ح ٢٠٤١.

(٣) أخرجه البخاري ١٥/ ٢٣٨ رقم ٤٦٤٢.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط، وقال في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح ١/ ٢٠١ رقم ٧٥٥.

فهذه الآثار كلها نصت على لفظ الوقوف بمعانيه الثلاث مما يؤكد صحة اعتباره في مفهوم التدبر.

ثانيًا: بالنسبة للفظ الانتفاع، فقد صرح به القرآن في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾ [عبس:٤].

وقال أبو حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]: «قرعهم أولاً بترك الانتفاع بالقرآن، ثم ثانيًا بأن ما جاءهم جاء آباءهم الأولين»(١).

وقال ابن القيم: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ».

أركان التدبر:

من خلال التأمل في التعريف السابق نستطيع أن نحرر منه أركان التدبر، وهي ثلاثة أركان باجتماعها يتحقق التدبر ويتميز عن غيره وهي:

١- حضور القلب واستشعاره(٢).

٢- النظر والتأمل في الآيات.

٣- قصد التذكر والاتباع.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢٦٨.

(٢) تخصيص حضور القلب واستشعاره، دون تفاعل اللسان بالترتيل والترسل والتحزن، لأن التدبر لا يمكن حصوله بغير حضور القلب واستشعاره، بخلاف الترتيل والترسل فإنه ليس من لوازم التدبر وإن كان سببًا رئيسيًّا فيه كما يؤكده الأمر به صريحًا في القرآن، وكما تؤكده الأحاديث والآثار، لكن التدبر قد يكون بغير تلاوة بل بتأمل أو استماع.

مراتب التدبر:

يمكن تقسيم التدبر إلى مراتب قياسًا على ما قسم به ابن عباس التفسير فقال: «التفسيرُ على أربعةِ أوجهٍ: وجهٌ تعرفه العربُ من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحدٌ بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره».

فالتدبر على ثلاثة أوجه:

المرتبة الأولى: تدبر العامة، وهو الوقوف عند الآيات مع الفهم العام لها والتبصر بما اشتملت عليه من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد، والانتفاع بها تذكرًا واتباعًا.

وصورة ذلك: أن يقرأ القرآن ويقف مع آياته متأملاً في وعده ووعيده وأمره ونهيه، فيزداد بها إيمانه وخشيته.

المرتبة الثانية: تدبر العلماء، وهو الوقوف عند الآيات مع الفهم لمعناها ودلالاتها، والتبصر بمقاصدها وهداياتها، والانتفاع بها إيمانًا وعلمًا.

وصورة ذلك: أن يقف مع آيات القرآن بإمعان النظر وإعمال العقل في مقاصدها ومعانيها ودلالاتها، وينتفع بها علمًا وفهمًا وخشية.

المرتبة الثالثة: تدبر العلماء الربانيين: وهو الوقوف عند الآيات مع الفهم لمعناها ودلالاتها ومقاصدها وهداياتها، والتبصر بما اشتملت عليه من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد، والانتفاع بها علمًا وإيمانًا وعملاً، وهذه المرتبة هي التي تمثلها السلف الصالح في تعاملهم مع القرآن، وهي التدبر الأمثل.

وصورة ذلك: حال السلف الصالح في تلقيهم مع القرآن الذين رزقوا العلم والعمل بالقرآن.

* المحور الثاني: تحرير العلاقة والفرق بين التدبر والمصطلحات القرآنية الأخرى:

بالنظر في التعريف السابق نستطيع أن نحرر العلاقة والفرق بين التدبر والمصطلحات القرآنية الأخرى، بما لا يلتبس على القارئ والمتدبر:

أولًا: الفرق بين التدبر والتفسير:

الفرق بين التدبر والتفسير ظاهر من وجوه:

أولًا: إن التفسير هو كشف المعنى المراد في الآيات، والتدبر هو ما وراء ذلك من إدراك مغزى الآيات ومقاصدها، واستخراج دلالاتها وهداياتها، والانتفاع بها إيمانًا وعلمًا وعملاً.

ثانيًا: إن المفسر غرضه العلم بما دلت عليه الآيات للفهم، والمتدبر غرضه العلم بما دلت عليه للإيمان والعلم والعمل؛ ولذا فإن التفسير يغذي القوة العلمية، والتدبر يغذي القوة العلمية والإيمانية والعملية.

ثالثًا: إن التدبر واجب الأمة كلها بتفاوت مراتبها، ولذلك جاء الأمر بالتدبر في كتاب الله دون التفسير، وخوطب به ابتداءً الكفار في آيات التدبر، وأما التفسير فهو واجب بحسب الحاجة إليه لفهم كتاب الله تعالى.

رابعًا: إن التدبر لا يحتاج إلى شروط إلا فهم المعنى العام مع حسن القصد وصدق الطلب، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:١٧]، أما التفسير؛ فله شروط ذكرها العلماء، لأنه من القول على الله، ولذا تورع عنه بعض السلف رحمهم الله.

ولذا يقال: لا يعذر المسلم في التدبر، ويعذر في التفسير.

ثانيًا: الفرق بين التدبر والاستنباط.

يقال في الفرق بين التدبر والاستنباط كما قيل في الفرق بين التدبر والتفسير؛ لأن غرض التفسير والاستنباط واحد هو فهم المعنى وما يدل عليه، فالتفسير في الفهم، والاستنباط في الدلالات،وأما التدبر فيتجاوزهما إلى قصد التذكر والاتباع، وبذلك يكون التدبر أوسع منهما.

ثالثًا: الألفاظ المقاربة للتدبر والفرق بينها:

هناك ألفاظ مقاربة للتدبر وهي: التأمل، والتفكر، والنظر، والتذكر، والاعتبار، والاستبصار.

وقد أبان ابن القيم الفرق بينها، فقال: «هذه معانٍ متقاربةٌ تجتمع في شيءٍ، وتتفرق في آخر:

فيسمى تفكرًا لأنه استعمال الفكرة في ذلك وإحضاره عنده.

ويسمى تذكرًا لأنه إحضار للعلم الذي يجب مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه.

وكل من التذكر والتفكر له فائدة غير فائدة الآخر فالتذكر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه ليرسخ فيه ويثبت ولا ينمحي فيذهب أثره من القلب جملة، والتفكر يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلاً عند القلب فالتفكر يحصله والتذكر يحفظه.

ويسمى نظرًا لأنه التفات بالقلب إلى المنظور فيه.

ويسمى تأملاً لأنه مراجعة للنظر كرة بعد كرة حتى يتجلى له وينكشف لقلبه.

ويسمى اعتبارًا وهو افتعال من العبور لأنه يعبر منه إلى غيره فيعبر من ذلك الذي قد فكر فيه إلى معرفة ثالثة وهي المقصود من الاعتبار، ولهذا يسمى عبرة؛ إيذانا بأن

هذا العلم والمعرفة قد صار حالاً لصاحبه يعبر منه إلى المقصود به.

ويسمى تدبرًا لأنه نظر في أدبار الأمور وهي أواخرها وعواقبها، وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مره بعد مرة ولهذا جاء على بناء التفعل كالتجرع والتفهم والتبين.

ويسمى استبصارًا وهو استفعال من التبصر وهو تبين الأمر وانكشافه وتجليه للبصيرة»[1].

❑ **القسم الثاني:** الدراسة التطبيقية: التحليل والاستدلال:

بعد أن تبين لنا مفهوم التدبر وما يتضمنه، والعلاقة بينه وبين المصطلحات الأخرى، ولتحقيق هذا المفهوم فإنني سأفصِّل القول في هذا القسم بذكر الأدلة من القرآن والسنة، والآثار الواردة عن السلف مما يؤكد ذلك ويجليه، ليطمئن قلب القارئ، وليكون ذلك تطبيقًا عمليًّا بالأمثلة من أحوال السلف الصالح الذين هم أكمل الناس تمثلاً للتدبر الأمثل، فهم الأسوة والقدوة، ولا سبيل لتحقيق التدبر والانتفاع بالقرآن إلا باتباع منهجهم والاقتداء بهم، كما قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

*** المحور الأول: تحليل لآيات التدبر في القرآن:**

حين نتأمل في آيات التدبر الواردة في القرآن يتجلى لنا مفهوم التدبر من وجوه:

أولاً: سياق الآيات:

جميع آيات التدبر قد جاءت في غير سياق الحديث عن القرآن، وهذا يؤكد أن الغرض هو الأمر بالوقوف عند الآيات الواردة والتأمل فيها للإيمان والعلم والعمل،

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ١٨٢.

obeikandl.com

ويظهر ذلك بما يلي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، وردت في سياق الأمر بطاعة الرسول ﷺ والاستجابة له والرجوع في الحكم إليه.

قال ابن جرير في معنى الآية: «أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله، فيعلموا حجَّة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك...»(١).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]، وردت في سياق الأمر بالاستجابة والإذعان وعدم التولي.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٨] وردت في سياق تخويف المكذبين المستكبرين بالعذاب، تقريعًا لهم على عدم التذكر والانتفاع بها، وهذا يؤكد أن التدبر هو قصد التذكر والاتباع بالآيات.

قال أبو حيان: «قرعهم أولاً بترك الانتفاع بالقرآن، ثم ثانيًا بأن ما جاءهم جاء آباءهم الأولين: أي إرسال الرسل ليس بدعًا، ولا مستغربًا، بل أرسلت الرسل للأمم قبلهم، وعرفوا ذلك بالتواتر ونجاة مَن آمن، واستئصال مَن كذب»(٢).

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩] وردت في سياق مخاصمة الكافرين في الحق الذي جاء به محمد، وذكر قصة داود وسليمان ورجوعهما للحق بعدما تبين وإنابتهما إلى الله.

فنلحظ من ورود هذه الآيات الآمرة بالتدبر في سياق الحديث عن غير القرآن

---

(١) جامع البيان ٨/ ٥٦٧.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٢٦٨.

أن الغرض منها الأمر بالوقوف عند الآيات الواردة والتأمل فيها والتذكر والانتفاع بها، مما يؤكد ما ذكرته بأن التدبر هو الوقوف عند الآيات والتأمل فيها بغرض التذكر والاتباع.

ثانيًا: بيان المراد بالتدبر من آيات التدبر:

الآيات المذكورة كلها معقبة -في نفس الآية- بما ينبئ عن مقصود التدبر، وهذا يظهر من وجوه:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[النساء: ٨٢] معقبة في نفس الآية بقوله: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢] وهذا يبين -والله أعلم-: أن المقصود بالتدبر التأمل في الآيات وما فيها من دلائل الصدق والحق، وهذا يؤكد أن التدبر هو الوقوف عند الآيات والنظر والتأمل فيما دلت عليه من الحق والصدق وغير ذلك، بقصد الانتفاع بها إيمانًا وعلمًا وعملاً.

قال الألوسي: «المعنى: أيعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه»[1].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [محمد: ٢٤]، معقبة بقوله: ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]، وهذا يدل على أن من لوازم التدبر إقبال القلب وحضوره مع القرآن وإيمانه به، وهو ما يتضمنه الوقوع عند الآيات كما ذكرت.

قال الشنقيطي: «فقد أنكر تعالى عليهم إعراضهم عن تدبر القرآن، بأداة الإنكار التي هي الهمزة، وبين أن قلوبهم عليها أقفال لا تنفتح لخير، ولا لفهم قرآن».

(١) روح المعاني ٤/ ١٥٠.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨] معقبة في نفس الآية بقوله: ﴿ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٨]، وهي تدل على أن من لوازم التدبر النظر والتأمل في الآيات الواردة وما دلت عليه، وهو مايتضمنه تعريف التدبر.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩] عقبها بقوله: ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾، وهذا يؤكد أن لوازم التدبر قصد التذكر والاتباع، لأنه غاية له، وبذلك دلت الآية على ما تقرر من تضمن التدبر لقصد التذكر والاتباع، والله أعلم.

فظهر بذلك أن الآيات الأربع مشتملة على مفهوم التدبر المتضمنة لثلاثة أمور:

١- الوقوف عند الآيات بالقلب.

٢- النظر والتأمل فيما دلت عليه الآيات.

٣- قصد التذكر والاتباع.

ثالثًا: صيغة الفعل الواردة في الآيات:

جاءت صيغة الفعل في الآيات كلها بصيغة المضارع الدال على التجدد والاستمرار، وهذا يؤكد لنا أمور:

١- أن التدبر مأمور به دائمًا حال القراءة، ويؤكد ذلك ورود الاستفهام ولام الأمر.

٢- أن التدبر لانهاية له في الآيات، وأن القارئ لن يبلغ النهاية فيه، وذلك لتوسع المعاني والدلالات والهدايات في الآيات وتجددها.

رابعًا: اختلاف المأمور بتدبره في الآيات:

بالنظر في الآيات الأربع نجد الاختلاف في المأمور بتدبره:

١- القرآن في آيتين من آيات التدبر السابق ذكرها.

٢- الآيات في آية واحدة.

٣- القول في آية واحدة.

ونستطيع أن نستنبط من هذا الاختلاف أمور:

١- أن آية النساء والمؤمنون الواردة بلفظ تدبر القرآن، وتدبر القول ظاهر فيها أن المراد تدبره من حيث العلم بأنه حق وبأنه دال على الصواب، ولذلك عقبت إحدى الآيتين بقوله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، وعقبت الأخرى بقوله: ﴿أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، والتعبير بالقرآن -والله أعلم- دال على أنه من عند الله كما يؤكده ختام الآية، والتعبير بالقول دال على أنه قول حق فيما تضمنه من الآيات والعبر، ويؤكده ختام الآية.

٢- أن آية محمد الواردة بلفظ تدبر القرآن، ظاهر فيها أن المراد الإيمان به والإقبال عليه وحضور القلب معه، ولذلك عقبت الآية بقوله: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ أن آية (ص) الواردة بلفظ تدبر الآيات، ظاهر فيها معنى تدبر دلالات الآيات وهداياتها، ولذلك عقبت الآية بقوله: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، وبالتأمل في هذه الألفاظ واختلافها نجد أنها دالة على مفهوم التدبر بأركانه الثلاثة، أعني: حضور القلب، والتأمل في الدلالات، وقصد التذكر والاتباع، والله أعلم.

*** المحور الثاني:** أدلة الوقوف عند الآيات والتأمل فيها:

يؤكد تضمن التدبر للوقوف عند الآيات والتأمل فيها أدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم:

أولاً: الأدلة من القرآن:

القرآن دال على تضمن التدبر للوقوف عند الآيات والتأمل فيها، من وجوه:

١ - أن القرآن ملئ بالنصوص الآمرة بالنظر في الآيات والتفكر والتبصر والتذكر، ومنها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس:٦٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد:٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:٤].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه:٥٤].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم:٢٢].

وفي أسلوب استفهامي يدعو للوقوف مع الآيات والتأمل في مقاصدها:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [السجدة: ٢٦].

وقد تكررت هذه الآيات في مواضع كثيرة من القرآن، مما يؤكد أن الغرض هو الحث على الوقوف عند الآيات والتأمل والتفكر وإعمال العقل والبصر والسمع فيها، والنظر في دلالاتها وهداياتها، والتذكر والاتباع، وهذا هو التدبر.

٢- تكرر الآيات في بعض السور مما يؤكد أنها للحث على الوقوف عندالآيات والتأمل فيها، ومن ذلك مثلاً:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:١٧] وردت هذه الآية في السورة أربع مرات، وتعددها دال على أن المقصود الوقوف عند الآيات والقصص الواردة والتذكر بها، ولهذا قال: ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾، وهي آية دالة دلالة صريحة على الحث على التدبر ولهذا قال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾أي للتذكر.

قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن:١٣] وردت هذه الآية واحدًا وثلاثين مرة، وهي آية حاثة على الوقوف عند النعم والآلاء الواردة في السورة وتأملها مما يبعث على التذكر والإيمان.

٣- ورود القَسَم في ابتداء السور بالآيات الكونية وتعدده وتضمنه للتغيرات والأحوال التي تتضمنها الآيات الكونية المقسم بها فهذا التعدد دال على الأمر بالوقوف مع هذه الآيات والتأمل فيها للانتفاع والإيمان.

٤- اعتبار علم الوقف والابتداء وهو علم عظيم غرضه التدبر.

قال الزركشي في البرهان: «معرفة الوقف والابتداء: وهو فن جليل وبه يعرف كيف أداء القرآن ويترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة وبه تتبين معاني الآيات»[1].

ثانيًا: السنة وأقوال السلف وأحوالهم:

بالنظر في السنة النبوية وأقوال السلف وأحوالهم نجد أنها دالة على أن التدبر هو الوقوف عند الآيات والتأمل فيها والتفاعل معها، ومما يشهد لذلك:

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٣٤٢.

١- ما أخرجه النسائي وابن ماجه، عن أبي ذر، قال: «قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]»[(١)].

فهذا الترديد وقوف عند الآية وتأمل في مشهدها العظيم.

٢- ما ورد عن عمر أنه مكث في تعلم سورة البقرة اثنتي عشرة سنة، وابنه عبد الله مكث في تعلمها ثماني سنين [(٢)].

وهذا يدل على طول وقفوهم وتأملهم فيها بتعلم ما فيها والعمل به.

ثالثًا: اللغة:

اللغة تدل على تضمن التدبر للوقوف مع الآيات والتأمل فيها من وجهين:

الأول: أن الوصول إلى أواخر الكلم ونهاياتها الذي هو أصل التدبر أمر يحتاج إلى وقوف مع الآيات وطول نظر وتأمل.

الثاني: مجيء التدبر على وزن التفعُّل، وهو ما يحتاج إلى بذل جهد وإعمال عقل وإمعان نظر، وإلقاء سمع؛ للوصول إلى ما وراء الألفاظ من المقاصد والمعاني والدلالات والهدايات.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة، ولهذا جاء على بناء التفعل كالتجرع والتفهم والتبين»[(٣)].

---

(١) أخرجه النسائي ٤/ ١٤٢١ ح١٠١٨، وابن ماجه ٤/ ٣٢٠ ح١٤١١، وصححه الألباني في المشكاة رقم ١٢٠٥.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب ٢/ ٣٣١/ ١٩٥٧.

(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ١٨٣.

*** المحور الثالث: الأدلة على أن الوقوف عند الآيات يشمل الإقبال والتفاعل بالقلب واللسان والجوارح:**

أولًا: الأدلة على أن الوقوف عند الآيات يكون بالقلب حضورًا وإيمانًا وتعظيمًا واستشعارًا بأنه المخاطب:

١- قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

فقوله: ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ يؤكد أن التدبر يتضمن حضور القلب، حيث جعل من موانع التدبر انغلاق القلوب، وهذا دليل كاف على تضمن التدبر لحضور القلب الذي هو من مقدمات التدبر، وهو من الوقوف عند الآيات بالقلب.

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق:٣٧].

فقوله: ﴿ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾، وقوله: ﴿ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ دال على لزوم حضور القلب.

قال السعدي: «﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ أي: قلب عظيم حي، ذكي، زكي، فهذا إذا ورد عليه شيء من آيات الله، تذكر بها، وانتفع، فارتفع، وكذلك من ألقى سمعه إلى آيات الله، واستمعها، استماعًا يسترشد به، وقلبه ﴿ شَهِيدٌ ﴾ أي: حاضر، فهذا له أيضًا ذكرى وموعظة، وشفاء وهدى»[(١)].

وقوله: ﴿ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ ﴾ دال على حضور السمع وإنصاته وإصغاؤه.

قال ابن كثير: «وقال الضحاك: العرب تقول: ألقى فلان سمعه: إذا استمع بأذنيه وهو شاهد يقول غير غائب. وهكذا قال الثوري وغير واحد»[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن ١/ ٨٠٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ٤٠٩.

٣- قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس:٦٩-٧٠].

قال السعدي: «﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي: حي القلب واعيه، فهو الذي يزكو بهذا القرآن، وهو الذي يزداد من العلم منه والعمل، ويكون القرآن لقلبه بمنزلة المطر للأرض الطيبة الزاكية»(١).

٤- قال مالك بن دينار: «أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صدع قلبه»(٢).

٥- قال الإمام البخاري: «لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن ولا يحمله بحقه إلا الموقن»(٣).

٦- قال الحسن: «إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملاً؛ فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار»(٤).

٧- وقال ابن القيم: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ».

ثانيًا: الأدلة على أن الوقوف عند الآيات يكون باللسان ترتيلاً وترسلاً وتحزنًا وتكرارًا وتفاعلاً بالسؤال والتعوذ عند مناسبة ذلك ما يلي:

(١) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن ١/ ٦٩٨.
(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٩٨.
(٣) صحيح البخاري ٢٤/ ٤١٠.
(٤) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ٢٨.

١- قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل:٤].

قال الرازي: «قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ الإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني»(١).

وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ أي: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبره. وكذلك كان يقرأ ﷺ، قالت عائشة: «كان يقرأ السورة فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها».

وفي «صحيح البخاري»، عن أنس: أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ، فقال: «كانت مدًّا، ثم قرأ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ يمد بسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم».

وقال ابن جُرَيج، عن ابن أبي مُلَيكة عن أم سلمة: أنها سُئلت عن قراءة رسول الله ﷺ، فقالت: «كان يقطع قراءته آية آية، ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:١-٢] رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي»(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:١٠٦]، قال مجاهد: {على مكث}: على تؤدة (٣).

٣- كانت قراءة النبي ﷺ كما نعتتها أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كانت قراءة رسول الله ﷺ مفسرة حرفًا حرفًا»(٤).

---

(١) مفاتيح الغيب ٣٠/ ١٥٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٨/ ٢٥٠.

(٣) جامع البيان ٧/ ٥٧٥.

(٤) أخرجه الترمذي وصححه ٥/ ١٨٥ ح٢٩٢٣.

٤- عن حفصة زوج النبي ﷺ، أنها قالت: «كان ﷺ يقرأ في السورة، فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها»[(١)].

٥- ما روي عن سعد بن أبي وقاص قال: قال ﷺ: «إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا»[(٢)].

٦- ما روي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا»[(٣)].

٧- أخرج مسلم عن حذيفة قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ»[(٤)].

٨- أخرج النسائي وابن ماجة عن أبي ذر قال: «قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]»[(٥)].

٩- ورد ذلك أيضًا عن عدد من الصحابة والتابعين كعائشة وسعيد بن جبير

(١) أخرجه مسلم (٥/ ١٥١، برقم ١٧٤٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٢٤، رقم ١٣٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٦٢، رقم ٢٠٥١)، وأبو يعلى (٢/ ٤٩، رقم ٦٨٩)، وقال ابن كثير: «وفي الحديث كلام طويل يتعلق بسنده» فضائل القرآن ١/ ١١٤.

(٣) أخرجه أبو يعلى بسند ضعيف (٢/ ٤٩، رقم ٦٨٩).

(٤) أخرجه مسلم ٥/ ١٦٦رقم ١٨٥٠.

(٥) أخرجه النسائي ٤/ ١٤٢١ح١٠١٨، وابن ماجه ٤/ ٣٢٠ح١٤١١.

والربيع بن خثيم وغيرهم.

وقال ابن القيم: «هذه عادة السلف يردد أحدهم الآية حتى يصبح»[١].

قال أبو حامد الغزالي: «وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد»[٢].

١٠- قال ابن مسعود لعلقمة وقد عجل في القراءة: «فداك أبي وأمي رتل؛ فإنه زين القرآن»[٣].

١١- عن أبي جمرة قال: قلت لابن عباس: «إني سريع القراءة وإني أقرأ القرآن في ثلاث فقال: لأن اقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إليَّ من أن أقرأ كما تقول»[٤].

١٢- يقول إسحاق بن إبراهيم عن الفضيل بن عياض: «كانت قراءته حزينة شهية بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنسانًا، وكان إذا مرَّ بآية فيها ذكر الجنة يردد فيها ويسأل»[٥].

*** المحور الثالث: الدليل على أن التدبر شامل للتأمل فيما وراء النص:**

ذكرنا معنى التدبر في الأصل اللغوي وأقوال العلماء في ذلك، وهي كافية في الدلالة، إذ أن هذا الركن هو الأصل في التدبر.

أما أدلة ما يشمله التأمل في الآيات؛ فظاهرة من وجوه:

أولًا: إدراك مغزى الآيات: لأن القرآن الكريم له مقاصد وغايات جاء لتحقيقها

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٢٢.

(٢) إحياء علوم الدين ١/ ٩٢.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٢٥٥، برقم ٨٧٢٤).

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٤٨٩، رقم ٤١٨٧).

(٥) سيرة أعلام النبلاء ٢/ ٦٦٢.

obeikandl.com

في حياة الأفراد والمجتمعات وهي غايات عامة، فلا بد أن يكون من غرض المتدبر الوقوف على مقاصد الآيات وغاياتها ليدركها ويحققها في نفسه.

ثانيًا: فهم المعنى: لأن التدبر يستلزم فَهْم معاني الآيات؛ كما يقول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «محال أنْ يُقَال لمن لا يَفهم ما يُقَال له، ولا يَعْقِل تأويلَه: «اعتبرْ بما لا فَهْم لك به، ولا مَعْرفة مِن القيل والبيان»! إلا على معنى الأَمْرِ بأَنْ يَفْهَمه، ويفقهه، ثم يتدبره، ويعتبر به، فأَمَّا قَبْل ذلك فمستحيلٌ أَمْرُهُ بتدبُّره، وهو بمعناه جاهِلٌ»[(١)].

قال الشوكاني: «إنَّ التدبر هو التأمُّل؛ لفهم المعنى..»[(٢)].

ثالثًا: استخراج دلالاتها وهداياتها: لأنها هي أواخر الكلم ونهاياته وهي المقصودة أصلاً، فلا بد أن يتضمنها التدبر، وهي ما يسمى بالاستنباط الذي هو استخراج ما خفي من النص القرآني الظاهر المعنى[(٣)].

قال ابن عاشور: «معنى ﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد: ٢٤]: يتأمَّلون دلالته، وذلك يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يتأمَّلوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبُّر تفاصيله.

وثانيهما: أن يتأمَّلوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنَّه من عند الله، وأنَّ الذي جاء به صادق»[(٤)].

قال عبد الرحمن حبنكة: «التدبر: هو التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن ١/ ٨٢.
(٢) فتح القدير ١/ ٤٩١.
(٣) انظر: منهج الاستنباط ص ١٠٢.
(٤) التحرير والتنوير ١/ ٩٩٤.

الكلم ومراميه البعيدة»[1].

ومما يشهد لدخولها في التدبر ما استدل به ابن القيم في قوله: «فصل في ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [محمد: ٢٤]؛ فإن قلت: إنك قد أشرت إلى مقام عظيم فافتح لي بابه واكشف لي حجابه وكيف تدبر القرآن وتفهمه والإشراف على عجائبه وكنوزه وهذه تفاسير الأئمة بأيدينا فهل في البيان غير ما ذكروه قلت: سأضرب لك أمثالاً تحتذي عليها وتجعلها إمامًا لك في هذا المقصد.

قال الله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات: ٢٤-٣٠].

فعهدي بك إذا قرأت هذه الآية وتطلعت إلى معناها وتدبرتها فإنما تطلع منها على أن الملائكة أتوا إبراهيم في صورة الأضياف يأكلون ويشربون وبشروه بغلام عليم وإنما امرأته عجبت من ذلك فأخبرتها الملائكة أن الله قال ذلك ولم يتجاوز تدبرك غير ذلك؛ فاسمع الآن بعض ما في هذه الآيات من أنواع الأسرار:

فكم قد تضمنت من الثناء على إبراهيم.

وكيف جمعت الضيافة وحقوقها.

وما تضمنت من الرد على أهل الباطل من الفلاسفة والمعطلة.

وكيف تضمنت علمًا عظيمًا من أعلام النبوة.

---

(١) قواعد التدبر الأمثل ص ١٠.

وكيف تضمنت جميع صفات الكمال التي ردها إلى العلم والحكمة.

وكيف أشارت إلى دليل إمكان المعاد بألطف إشارة وأوضحها ثم أفصحت وقوعه.

وكيف تضمنت الإخبار عن عدل الرب وانتقامه من الأمم المكذبة.

وتضمنت ذكر الإسلام والإيمان والفرق بينهما.

وتضمنت بقاء آيات الرب الدالة على توحيده وصدق رسله وعلى اليوم الأخر.

وتضمنت أنه لا ينتفع بهذا كله إلا من في قلبه خوف من عذاب الآخرة وهم المؤمنون بها.

وأما من لا يخاف الآخرة ولا يؤمن بها فلا ينتفع بتلك الآيات.

فاسمع الآن بعض تفاصيل هذه الجملة...»[1].

ثم فصل في بيانها بما لا حاجة لذكره هنا.

فظهر بذلك أن استخراج الدلالات وأسرار التعبير من التدبر، ولذلك قال في سياق كلامه: «فعهدي بك إذا قرأت هذه الآية وتطلعت إلى معناها وتدبرتها فإنما تطلع منها على...».

*** المحور الرابع: أدلة وشواهد قصد الانتفاع بها إيمانًا علمًا وعملاً:**

وهذا هو بيت القصيد ومحط الراحل وغاية المتدبر.

وإنما قلنا: بتضمن التدبر لقصد الانتفاع بها علمًا وإيمانًا وعملاً لأن الغاية من قراءة القرآن هي التذكر والاتباع، والتدبر وسيلة لذلك فلا بد أن يتضمنه التدبر الذي هو مقصد نزول القرآن.

أما قصد مجرد التلاوة، أو مجرد العلم بالمعنى دون قصد الانتفاع بها علمًا وإيمانًا

(١) زاد المهاجر إلى ربه ص ٦٣-٦٨.

obeikandl.com

وعملاً فذلك أمر قاصر عن التدبر.

والانتفاع بها؛ أي: إيمانًا وعلمًا وعملاً:

أما الإيمان: فالمقصود به ما تورثه القراءة من زيادة الإيمان والخشية، وهو أعظم غايات الانتفاع بالقرآن وثمراته، ويشهد لذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٤].

فتأمل التعبير في الآيتين بقوله: ﴿ زَادَتْهُمْ ﴾ مما يدل على أن أعظم آثار القرآن هو الإيمان، وذلك لا يكون إلا بالتدبر، فالإيمان إذًا مقصد من مقاصد المتدبر للقرآن.

٣- قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة:١٢١].

فتأمل قوله: ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ ثم عقبها بقوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ ﴾ مما يدل على أن التلاوة المصاحبة للتدبر مؤدية للإيمان.

وأما العلم فالمقصود به أمران:

أولًا: العلم بما تضمنته الآيات من المعاني والدلالات.

الثاني: العلم بما تضمنته الآيات مما يلزم الامتثال له من الأوامر والنواهي، وما يلزم الاتعاظ به من الوعد والوعيد، والعبر والسنن الإلهية.

ويشهد لذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾

[العنكبوت:٤٣].

قال السعدي في تفسيره للآية: «﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ بفهمها وتدبرها، وتطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب، ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ أي: أهل العلم الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم، وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحثٌّ على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقله»(١).

٢- ما ورد عن عمر أنه مكث في تعلم سورة البقرة اثنتي عشرة سنة، وابنه عبد الله مكث في تعلمها ثماني سنين(٢).

٣- أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن مسعود قال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾؛ فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه(٣).

وأما العمل، فهو ثمرة الإيمان وعاقبة التدبر.

والقرآن -بكونه مثاني- مليء بالأساليب المحفزة للعمل بالقرآن، ومنها أسلوب الأمر والنهي، وأسلوب الجزاء والعقاب، وأسلوب الوعد والوعيد، وأسلوب الترغيب والترهيب، وهذه الأساليب وغيرها دالة على أن القرآن أنزل للامتثال والعمل، وهذا يؤكد لنا أن التدبر لا يكون إلا بالإقبال على القرآن بنية الامتثال والعمل.

وهذا هو منهج النبي ﷺ والسلف الصالح، وغاية مرادهم من القرآن، ويشهد له:

(١) تفسير السعدي ١/ ٦٣١.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٦/ ١٩٠٠، ١٨٩٩).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٤/ ٢٠٠ رقم ١٠٣٣.

١- أخرج مسلم عن سعد بن هشام بن عامر قال: سألت عائشة رضي الله عنها فقلتُ: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ، قالت: ألستَ تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان خلقه القرآن، فقلتُ: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ، فقالت: ألستَ تقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل:١]؟ قلتُ: بلى، قالت: فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرًا في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف؛ فصار قيام الليل تطوعًا بعد فريضة[١]..

ففي هذا الحديث دلالة على منهج النبي ﷺ في التعامل مع القرآن وهو التخلق بأخلاقه، والعمل بأوامره، ولذا حين نزلت عليه سورة المزمل عرف ﷺ حقيقة الأمر وقدَّره، فقال لخديجة رضي الله عنها وهي تدعوه أن يطمئن وينام: «مضى عهد النوم يا خديجة».

٢- ويشهد لذلك أيضًا ما أخبرت به عائشة رضي الله عنها حينما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: «كان خلقه القرآن، يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه»[٢]. يصدق ذلك القرآن بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

٣- وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال له رجل: هِي يا ابن الخطاب! فوالله ما تعطينا الجزل! ولا تحكم بيننا بالعدل! فغضب حتى همَّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين. يقول ابن عباس: والله ما جاوزها عمر حين

(١) أخرجه مسلم ٥/ ٨٠ رقم ١٧٧٣.

(٢) أخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجانه، ٩/ ٣٩ ح٣٨٠١.

openkanal.com

تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتاب الله»[١].

٤- وما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كان الرجل منَّا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»[٢].

٥- وقال ابن عمر: «كان الفاضل من أصحاب النبي ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يرزقون القرآن منهم الصبي والأعمى، ولا يرزقون العمل به»[٣].

٦- وقال أبو عبد الرحمن السلمي، وهو أحد تلاميذ الصحابة: «إنما أخذنا القرآن من قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن من العمل، قال: فتعلمنا العلم والعمل جميعًا»[٤].

٧- وقال الحسن البصري: «والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله! ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل»[٥].

وقد أكد السلف والعلماء على أن يكون هذا هو حال حامل القرآن وتاليه بحيث يظهر أثر القرآن عليه خلقًا وعملاً ومن ذلك:

١- قال ابن مسعود: «ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس ينامون، وبنهاره إذا الناس يفرطون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن

(١) أخرجه البخاري ١٥/ ٢٣٨ ح٤٦٢٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤.
(٣) أخلاق أهل القرآن للآجري ص١٠.
(٤) فضائل القرآن للفريابي ص٢٤١.
(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣/ ٣٦٤.

يكون مستكينًا لينًا، ولا ينبغي له أن يكون جافيًا ولا ماريًا ولا صياحًا ولا صخابًا ولا حديدًا»[١].

٢- عن الفضيل بن عياض قال: «حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي أن يلهو مع مَن يلهو ولا يسهو مع مَن يسهو ولا يلغو مع مَن يلغو تعظيمًا لحق القرآن»[٢].

٣- قال الآجري في أخلاق حملة القرآن: «يتصفح القرآن ليؤدب به نفسه، همته: متى أكون من المتقين؟ متى أكون من الخاشعين؟ متى أكون من الصابرين؟ متى أزهد في الدنيا؟ متى أنهى نفسي عن الهوى؟»[٣].

فهذا يؤكد لنا أن القارئ للقرآن لا بد أن يكون مستصحبًا في تلاوته نية قصد التذكر والاتباع، وهذا هو التدبر.

*** الخاتمة:**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ففي نهاية هذه الدراسة التي يسر الله تعالى إعدادها حول مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، يمكن أن نخلص إلى أمور وتوصيات مهمة:

١- إن مفهوم تدبر القرآن لا يحد بمعناه اللغوي وهو النظر فيما وراء الألفاظ من المعاني والدلالات، وإنما يمتد إلى مقدمات التدبر وهو حضور القلب واستشعاره، ونهاياته وهو قصد الانتفاع إيمانًا وعلمًا وعملاً.

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ص٥٥.

(٢) المصدر السابق ص٥٤.

(٣) أخلاق حملة القرآن ص٤٠.

openkandil.com

٢- إن الفرق بين التدبر وبين التفسير والاستنباط يتحدد بحسب غرض القارئ لكتاب الله تعالى؛ فالمفسر والمستنبط يكون غرضه الوصول إلى المعاني والدلالات، والمتدبر لا بد أن يكون مع ذلك مستصحبًا قصد الانتفاع بها إيمانًا وعملاً؛ فهذا الذي يميز التدبر عن التفسير، وهو الفرق الجوهري بينهما.

٣- إن التدبر واجب الأمة كلها لأنه غاية من إنزال القرآن كما صرحت الآيات بذلك أمرًا به وحثًّا عليه، وأن التفسير هو واجب بحسب الحاجة إليه لفهم القرآن والعمل به، والناس فيهما مراتب بحسب رسوخ إيمانهم وعلمهم.

٤- إن منهج السلف الصالح في التدبر يبرز في الجانب العملي، لأنهم كما قال ابن عمر: «ورزقوا العمل بالقرآن»، وهذا الذي تفقده الأمة اليوم كما قال في تمام كلامه: «وإن آخر هذه الأمة يرزقون القرآن منهم الصبي والأعمى، ولا يرزقون العمل به»[1].

*** التوصيات:**

للخروج بمنهج عملي لهذا الموضوع المهم يمكن أن نخلص إلى توصيات مهمة:

١- إن أعظم ما يجب على أهل العلم بالقرآن والمهتمين به والمؤسسات القرآنية في هذا الوقت هو العودة بالأمة إلى منهج التدبر الأمثل الذي تمثله الجيل الأول من الصحابة والتابعين، وذلك بتوجيههم لأبناء الأمة وأجيالها لتلقي القرآن بقصد العلم والإيمان والعمل مع قصد التلاوة والحفظ.

٢- إقامة لقاءات دورية تجمع النخبة من أهل العلم والتخصص والاهتمام بغرض دراسة الخطط والمناهج العملية للتدبر وسبل تفعيلها، ومن ثم نشرها بين

(١) أخلاق أهل القرآن للآجري ص١٠.

openkandil.com

المؤسسات والمدارس القرآنية والتعليمية.

٣- أَنْ يتركز عمل هذا المشروع المبارك -أعني الهيئة العالمية لتدبر القرآن ومشاريعها- على تفعيل منهج التدبر العملي الذي تمثل في منهج السلف الصالح، وأن يسعى المركز لطرح البرامج والمناهج العملية التي تدعم مناهج المؤسسات والمدارس القرآنية القائمة على تحفيظ القرآن الكريم، ليكتمل البناء ويظهر الأثر العظيم للقرآن في الجيل المعاصر.

٤- أَنْ تتبنى الهيئة إقامة معاهد عليا للدراسات التدبرية، ومراكز قرآنية للتدريب لإقامة دورات تدريبية للعاملين في المدارس والحلقات والدور القرآنية على التدبر وطرقه ومناهجه.

٥- أن يكون من عمل (جوال تدبر) نشر الوعي بهذا المنهج بالتركيز على نشر الآثار الواردة عن السلف في ذلك مع التوجيهات المناسبة لذلك، وأن يتبنى منهجًا يجمع بين الجانب النظري بالتفسير والاستنباط والجانب العملي بالتوجيه للانتفاع والعمل؛ بحيث تضمن الرسالة الاستنباطية ما يمكن الاستفادة منه عملاً وسلوكًا.

هذا ما يسر الله تعالى كتابته، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل القرآن المتدبرين له والعاملين به، وأن يرزق الأمة عودة صادقة إلى كتاب ربها، وتقويم سبيلها به على وفق منهج سلفها الصالح.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

د. محمد بن عبدالله الربيعة

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة القصيم

فهرس المراجع والمصادر

أولًا: القرآن وعلومه:

- القرآن العظيم.
- الإتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - دار التراث - القاهرة.
- أخلاق حملة القرآن - الآجري - دار الكتاب العربي - لبنان.
- التبيان في آداب حملة القرآن - أبو زكريا النووي - الوكالة العامة للتوزيع - دمشق - ط١ ١٤٠٣هـ.
- تدبر القرآن - سليمان السنيدي - المنتدى الإسلامي -ط١-١٤٢٢هـ.
- التعبير القرآني والدلالة النفسية - د. عبد الله الجيوسي - دار الغوثاني - دمشق - ط٢-٢٠٠٧.
- تفسير القرآن العظيم - الحافظ ابن كثير - دار طيبة - ط٢ - ١٤٢٠هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١-٢٠٠٠م.

obeikandl.com

- عظمة القرآن الكريم - محمود الدوسري - دار ابن الجوزي - ط١-١٤٢٦هـ.

- فتح من الرحمن الرحيم في بيان كيفية تدبر كلام المنان - د. أحمد منصور آل سبالك - المكتب الإسلامي -ط١- القاهرة.

- فضائل القرآن - أبو عبيد القاسم الهروي - دار ابن كثير - دمشق - ط٢-١٤١٠هـ.

- فضائل القرآن - الفريابي - مكتبة الرشد - الرياض - ط٢-١٤٢١.

- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله تعالى - عبد الرحمن حسن حبنكة - دار القلم - دمشق - ط٢-١٤٠٩.

- الكشاف - الزمخشري - دار الكتاب العربي - بيروت- ط٣- ١٤٠٧هـ.

- كيف نتعامل مع القرآن - محمد الغزالي - دار الوفاء - مصر - ط٢-١٤٢١هـ.

- كيف نتعامل مع القرآن - يوسف القرضاوي - دار الشروق - مصر.

- كيف ننتفع بالقرآن - أحمد الأميري - مؤسسة الريان - - بيروت.

- مع أشراف الأمة حملة القرآن - محمد حسين الرنتاوي - ط٢ ١٤٢٧هـ.

- مع القرآن وحملته في حياة السلف - عبيد بن أبي نفيع الشعبي - دار الوطن - الرياض ط٢-١٤١٧هـ.

- مفاتيح تدبر القرآن - خالد اللاحم - المؤلف نفسه - ط١١٤٢٥هـ.

- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر - د. مساعد بن سليمان الطيار - دار ابن الجوزي - الدمام -ط١ ١٤٢٣هـ.

- منهج الاستنباط من القرآن - د. فهد بن مبارك الوهبي - مركز الدراسات

والمعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي – جدة – ط١ –١٤٢٨هـ .

– منهج السلف في العناية بالقرآن – د. بدر لن ناصر البدر – دار الضياء الخيرية – ط١ – ١٤٢٨هـ.

ثانيًا: السنة وعلومها:

– الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان – مؤسسة الرسالة – دمشق – ط١ – ١٤٠٨هـ .

– سنن الترمذي – تحقيق أحمد شاكر – دار إحياء التراث – بيروت.

– سنن الدارمي – دار الحديث – القاهرة – ط١ – ١٤٢٠هـ .

– سنن أبي داود – دار الفكر – بيروت.

– سنن ابن ماجه – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر – بيروت.

– صحيح البخاري – مكتبة العبيكان – الرياض ط١٤١٧هـ .

– صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – دار الحديث –القاهرة – ط١ – ١٤١٢هـ .

– المستدرك على الصحيحين – الحاكم – دار الكتب العلمية –بيروت – ط١ ١٤١١هـ .

– مسند الإمام أحمد – مؤسسة الرسالة – بيروت –ط٢–١٤٢٠هـ .

– مصنف ابي أبي شيبة – مكتبة الرشد – الرياض – ط٢–١٤٠٩هـ .

– مصنف عبد الرزاق – المكتب الإسلامي – بيروت – ط٢ – ١٤٠٣هـ .

obeikandl.com

ثالثًا: اللغة وعلومها:

- التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني - دار الشروق - ط ٣ ١٣٩٩هـ.
- الفروق اللغوية - أبو هلال العسكري.
- لسان العرب - محمد بن منظور - دار صادر - بيروت.
- المعجم الوسيط د. إبراهيم أنيس د. عبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف.
- معجم مقاييس اللغة - تحقيق عبدالسلام هارون - اتحاد الكتاب العربي - ١٤٢٣هـ.

رابعًا: كتب السيرة والتاريخ:

- البداية والنهاية - ابن كثير - دار الريان - القاهرة - ط١١٤٠٨هـ .
- حياة الصحابة للدهلوي - شركة الرياض - ط١ - ١٩٩٨م.
- سير أعلام النبلاء - الذهبي - مؤسسة الرسالة - ط٤-١٤٠٦هـ .
- السيرة النبوية لابن هشام - دار التراث العربي - القاهرة.

obeikandl.com

خامسًا: كتب عامة:

- إحياء علوم الدين - الغزالي - دار الحديث -ط١-١٤١٢هـ .
- زاد المهاجر إلى ربه (الرسالة التبوكية) - ابن القيم الجوزية - مكتبة المدني -جدة.
- مفتاح دار السعادة - ابن القيم الجوزية - دار الكتب العلمية - بيروت.

opeikandl.com

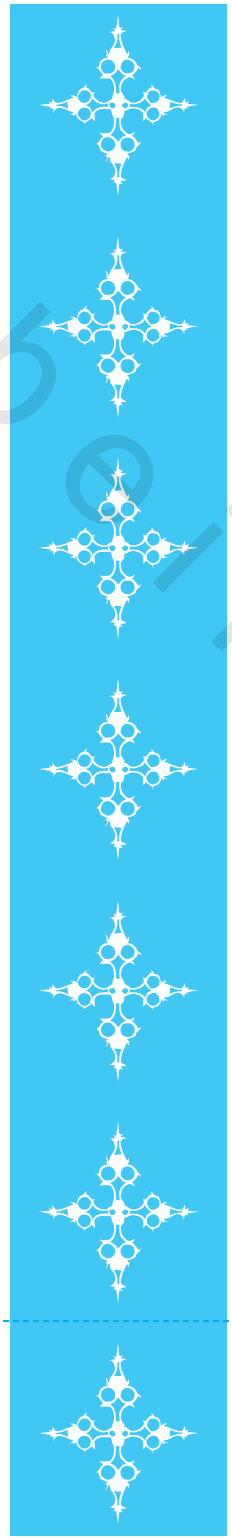

تعقيبات الجلسة الثالثة

obeikandl.com

د. فهد الرومي

التعقيب الأول

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

شكر الله للإخوة الأفاضل منظمي هذا اللقاء العلمي المبارك ما بذلوه من جهد، وما قدموه من عمل، فنسأل الله تعالى أن يجعله في موازين حسناتهم.

وقد أحسن القائمون على هذه الندوة اختيار موضوعها، فالتدبر هو الأساس الذي تقوم عليه كل علوم القرآن الكريم، بل كل العلوم الشرعية، وهو بحاجة إلى دراسات تنظيمية وتطبيقية، ودراسات لأصوله وقواعده، ومفاتحه ومراتبه، ودراسات شرعية وتربوية ونفسية يسلكها المتدبرون ليصلوا إلى الثمرة المرجوة الآجلة والعاجلة.

وما قدمه الإخوة الباحثون ليس إلا مدخلاً من مداخل التدبر، وخطوة في طريق طويل.

ولنقف عند التفريق بين تعريف التدبر اللغوي والاصطلاحي، فإنا نجد في نصوص العلماء ما قد نفهم منه أن التدبر للقرآن أوسع وأعم من التدبر بالمعنى

اللغوي، خلاف ما هو معروف من العموم في التعريف اللغوي والخصوص في المعنى الشرعي في مصطلحات شرعية كثيرة؛ كالصلاة والزكاة والصيام والحج.

وقد جرت نصوص العلماء على تفسير التدبر بالمعنى الشرعي بمعنى يزيد على معناه اللغوي كقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما تدبر آياته إلا باتباعه»، وفسر كثير من المفسرين التدبر في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] بالعمل به.

وقد أدخل كثير من الباحثين والعلماء آثار التدبر في التدبر كاجتماع القلب، والبكاء، والخشوع، والقشعريرة، وزيادة الإيمان، والفرح، والسجود تعظيماً لله، ومَن لم يشعر بشيء من ذلك فهو لم يتدبر.

وأرى أن التدبر كالصورة الواحدة المكونة من عدة أجزاء لا تكتمل إلا بسائر أجزائها، وهو مكون من ثلاثة أجزاء:

١- التدبر قبل التلاوة.

٢- التدبر أثناء التلاوة.

٣- التدبر بعد التلاوة.

ومَن لم يحقق هذه الأمور فليس بمتدبر.

ومما يدخل في مفهوم التدبر قبل التلاوة: حضور القلب وتهيئته بالتخلي عن الشواغل، والتعلق بالزخارف، والميل إلى الشهوات، وقبل ذلك حسن النية والإخلاص، ونحو ذلك...

وأما ما يدخل في مفهوم التدبر أثناء التلاوة فأمور كثيرة ذكر الإخوة بعضها؛ كالتكرار، والحفظ، والقرآءة بتأن وتؤدة، والجهر بالقرآءة لاستيفاء واستحضار

أدوات التدبر، وتقوية عوامله من المشاهدة للنص بالبصر وسماعه بالأذن.

ويدخل في مفهوم التدبر بعد القراءة ما ذكرته آنفًا من خشوع القلب، والقشعريرة، وزيادة الإيمان، والمبادرة للعمل.

ويمكن القول: إن التدبر بالمعنى اللغوي هو التدبر بالمعنى الشرعي إذا فرقنا بين التدبر والتفكر، فالتفكر هو إعمال الذهن لمعرفة حقيقة الشيء، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ [الأعراف١٨٤]، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١]، ومن سمى هذا التفكر تدبرًا لزمه التفريق بينه وبين مفهوم التدبر بالمعنى الشرعي.

ومن أراد بالتدبر في اللغة ما هو أعم كقول الألوسي: «أصل التدبر التأمل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظرًا في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه» [٤/ ١٥٠].

فجعل التدبر في اللغة ما ذكرته في الحقيقة الشرعية، وحينئذ فلا فرق بين الحقيقة اللغوية للتدبر والحقيقة الشرعية.

وقد يوهم قول أحد الباحثين: إن الأمر بالتدبر غير مقتصر على المسلمين بل يشمل الكفار.. يوهم أن الخطاب بالتدبر موجه للمسلمين أصلاً.

والواقع أن الأمر بتدبر القرآن جاء في أربع آيات كان السياق في آيتين موجهًا للكفار، وفي آيتين موجهًا للمنافقين، ولا يعني هذا عدم دخول المؤمنين بل هم مأمورون بذلك، بل هم أولى به من غيرهم، وإن كان الخطاب موجهًا في الأصل للكفار والمنافقين.

ولا يزال التدبر بحاجة إلى تدبر، نسأل الله تعالى أن يعقب هذه الخطوة خطوات فاعلة وآثار نافعة للإسلام والمسلمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أ. د. فهد بن عبدالرحمن الرومي

أستاذ الدراسات القرآنية بكلية المعلمين

جامعة الملك سعود

obeikandl.com

د. هاشم بن علي الأهدل

التعقيب الثاني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فلقد كتب الكثيرون من المهتمين بموضوع تدبر القرآن الكريم، وبين المصنفون من العلماء مفهوم التدبر، وآثاره، ووسائله، والطرق المعينة على تحقيقه، وغير ذلك من المباحث الضرورية المتعلقة بالتدبر.

وسيكون تعقيبي نحو اتجاه آخر في مفهوم التدبر، ألا وهو كيف نجعل التدبر علمًا يُعلَّم، مثل غيره من علوم القرآن، كما نعلم التجويد، أو التفسير، أو كما نعلم القواعد، أو الرياضيات، ونستفيد في ذلك من أبجديات علم المناهج وطرق التدريس وعلم النفس.

فمن الملاحظ في مؤسسات وحلق تعليم القرآن أنه قليلاً ما يُعتنى بهذا الجانب، فقد تجد الطالب يحفظ كتاب الله كاملاً، ولا يعرف معاني آيات من القرآن الكريم، ولا يحسن تدبرها، وربما يمكث المتعلم سنوات في حلقة التحفيظ، مركزًا على حفظ حروف الكتاب ولا يقيم آدابه، ولا يتمثله في واقعه سلوكًا، وما ذلك إلا لأنه لم

obeikandl.com

يعر هذا الجانب اهتمامًا، أو لأنه لم يجد معلمًا يبصره بطرق التدبر وأساليبه العملية، أو لم يتيسر له التتلمذ على يد مربٍ يحسن التعامل مع قدراته المعرفية، واستعداداته الذهنية، ويعينه على الرقي الفكري والسلوكي من خلال الوسائل التحفيزية، المادية منها والمعنوية.

ويؤكد أحد المسئولين بإحدى جمعيات تحفيظ القرآن هذه المشكلة التربوية بقوله: «لو نظرنا في واقع الحلقات لوجدنا تقصيرًا واضحًا في هذا المجال، وأن أكثر الدارسين اقتصروا على التحفيظ دون التدبر والتفهم بسبب ما يأتي:

١- ضيق وقت الحلقة.

٢- كثرة عدد الطلاب.

٣- صغر سن الطلاب.

وظهر لي أن عدم تدبر أكثر الطلاب لقراءة القرآن الكريم من خلال عدم مراعاتهم للوقف والابتداء أثناء تسميعي لهم في الحلقات، أو في الاختبارات والمسابقات، فيقف الطالب وقفًا عجيبًا، ويبتدئ ابتداءً غريبًا ، يدل على عدم التدبر والتأمل»[1].

وقد يكون من المعلمين مَن يحث طلابه على التدبر نظريًّا، ويردد عليهم هذا التوجيه مرارًا وتكرارًا، ويجتهد في ذلك، ولكنه لا يعرفهم بكيفية التدبر وأصوله وخطواته، ولا يراعي التدرج التربوي، ولا النمو المرحلي لهم، وبالتالي تكون توجيهاته قليلة الفائدة، أو بلا أثر يُذكر ولا نتيجة تظهر.

ولتجاوز هذا القصور التربوي لا بد من بناء خطوات ومراحل منهجية في تعلم وتعليم التدبر، معتمدةً على ما يفيد من نظريات تربوية معاصرة، حيث «تؤكد

(١) إسهام جمعيات تحفيظ القرآن الكريم في بناء الأجيال، الواقع والمأمول، ص٦١١ - ٦٢٨.

الاتجاهات التربوية الحديثة على أهمية استخدام أساليب التعليم والتعلم التي تؤكد على إيجابية المتعلم ونشاطه في أثناء العملية التعليمية، وعلى ضرورة تهيئة الظروف الملائمة لجعل المتعلم يكتشف المعلومات بنفسه بدلاً من الحصول عليها جاهزةً، وعلى أن يتحول دور المعلم من تلقين المعلومات إلى توجيه المتعلم وإرشاده»[1].

ومن تلك النظريات التي ينبغي أن يستفيد منها المهتمون: النظرية السلوكية في علم النفس، والتي تفسر التعلم على أنه استقبال مثير وإصدار استجابة، وتستفيد من نظرية الاقتران الشرطي، وما يتعلق بها من مفاهيم وتطبيقات التعزيز، وكذلك نظرية اكتساب العادات وتدعيم السلوك.

إن التدبر يستحق أن يكون علمًا منفصلاً من علوم القرآن، بل من العلوم المعاصرة التي تُفرد لها المؤلفات والكتابات الخاصة، ويستحق أن تُنشأ له المؤسسات التربوية، وتكون مستقلةً عن غيرها من الجهات التعليمية، شأنه في ذلك شأن حلقات التحفيظ القرآنية، وهو علم يستحق أن يُطبق عليه منهج المواد الدراسية المنفصلة، والذي «يُعنى بوضع كل مجال دراسي خاص في مقرر منفصل عن بقية المقررات الدراسية الأخرى، أي أنه يرتب المواد الدراسية على أساس الفصل فيما بينها، بحيث تمثل كل مادة قسمًا خاصًّا من التراث المعرفي الإنساني، ثم توزع هذه الأقسام -بترتيب منطقي- على سنوات الدراسة التي يقضيها الطلاب في السلم التعليمي»[2]، فإذا ما أردنا تطبيق هذا المنهج، فإن الأمر يستلزم فصل علم التدبر عن غيره من علوم القرآن.

وأخيرًا، أود أن أشير في هذا التعقيب إلى أنني بحثت في هذا الموضوع المهم،

(١) أساليب التعليم والتعلم وتطبيقاتها في البحوث التربوية، ص ٥.

(٢) المنهج الدراسي المعاصر، ص ٢٤٨.

ولكن هذا البحث لم يستوعب كل ما يتصل بهذا التنظير الجديد لموضوع التدبر، وما ذُكر فيه من تفصيلات تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث، كما أنها قد لا تكون أهمها وأحقها بالدراسة، ولكن الله يسر لي إبرازها لفتح باب المناقشة والدراسة العلمية، وهي قابلة للتعديل والتقويم.

وأحسب أني قد طرقت بابًا جديدًا لموضوع قديم، علينا جميعًا أن نجتهد فيه، ونحاول الوصول إلى الصواب، فلكل مجتهد نصيب، ولكل مخطئ توبة، ولا يضيع الله أجر من أحسن عملًا.

*** أهمية البحث في هذا الموضوع:**

يمكن تحديد أسباب أهمية البحث في الأمور التالية:

١- إن التدبر موضوع أساسي له علاقة وثيقة بالقرآن الكريم.

٢- إن التدبر هو المقصود الأعظم من تنزل القرآن العظيم.

٣- إن التدبر نوع مهم من تعلم القرآن، والذي به تُنال الخيرية والأفضلية التي بينها رسول الله ﷺ.

٤- الاقتداء بالرسول ﷺ في تدبر كتاب الله.

٥- إن هذا البحث مبني على مراحل منهجية يستفيد منها المتعلمون والمعلمون، والمهتمون بالعملية التربوية عمومًا.

*** أهداف البحث:**

يمكن حصر الأهداف فيما يلي:

١- التعريف بمفهوم التدبر، وبيان وسائل تربية الناشئة عليه.

٢- تيسير عملية التدبر وجعلها في خطوات متدرجة.

٣- بيان أسباب التدبر وطرق اكتسابه.

٤- توعية المربين بوسائل وأساليب تربية الأجيال على التدبر.

❋ حدود البحث:

يناقش هذا البحث موضوع التدبر من منظور علم التربية وعلم النفس، وسيقترح البحث -إن شاء الله- مراحل منهجية تتناسب مع مراحل نضج المتعلمين، كما يقترح عددًا من الوسائل والإجراءات التربوية لكل مرحلة منها.

ولتعليم التدبر يضع البحث عددًا من الخطوات العملية التي يقوم بها الفرد بنفسه لتحقيق التدبر.

❋ أما محتويات البحث فهي كما يلي:

الفصل الأول:

الجوانب المعرفية لموضوع التدبر.

المبحث الأول: مفهوم تدبر القرآن.

المبحث الثاني: غاية التدبر وأهميته.

الفصل الثاني:

قواعد أساسية في تعليم التدبر.

مقدمة عن التعلم والتعليم.

المبحث الأول: قواعد أساسية تتعلق بطرق التدريس.

أولًا: العناية بالتمهيد التربوي.

ثانيًا: مراعاة التدرج في تعليم التدبر.

ثالثًا: التحضير الجيد للدرس القرآني.

obeikandi.com

رابعًا: استخدام أسلوب التعلم التعاوني.

خامسًا: استخدام الوسائل التعليمية المناسبة.

المبحث الثاني: قواعد أساسية تتعلق بالمحتوى الدراسي.

أولًا: الاهتمام بالاستعاذة.

ثانيًا: شرح الكلمات والجمل والآيات.

ثالثًا: ربط أحكام التجويد بالمعاني.

رابعًا: الموعظة والتحذير من الذنوب الصارفة عن التدبر.

خامسًا: إدراج حصة التدبر في الدرس القرآني.

سادسًا: التربية على شكر نعمة التدبر.

الفصل الثالث:

التدبر وتعليم الاستماع التربوي.

مقدمة:

المبحث الأول: أهمية الاستماع للتدبر:

المبحث الثاني: أسس الاستماع التربوي.

المبحث الثالث: آثار الاستماع التربوي.

المبحث الرابع: وسائل تربية ملكة الاستماع.

الفصل الرابع:

مراحل تعليم التدبر.

مقدمة:

المبحث الأول:

obeikandi.com

المرحلة الأولى (مرحلة التهيئة القلبية).

وأهداف هذه المرحلة:

١- تعريف المتعلمين بمفهوم التدبر.

٢- إيجاد التفاعل الوجداني مع سِيَر المتدبرين.

٣- ربط التدبر بالحياة الطبيعية والآيات الكونية.

٤- اكتساب القدرة على التغني بالقرآن.

٥- بث وإحياء الوعي بأهمية قراءة القرآن بتدبر في نفوس المتعلمين.

* الوسائل:

أولًا: تعريف المتربين بمفهوم تدبر القرآن وأهميته.

ثانيًا: الترغيب في التدبر.

ثالثًا: التشجيع والتحفيز التربوي على التدبر.

رابعًا: الترهيب من ترك التدبر.

خامسًا: التعويد على الترتيل والتغني بالقرآن وتحسين الصوت به.

سادسًا: التدبر بعرض القصص القرآني بأسلوب ميسر.

سابعًا: إلزام الطلاب بمصحف المتدبرين.

ثامنًا: الرحلات والبرامج الترويحية الهادفة المعينة على التدبر.

المبحث الثاني:

المرحلة الوسطى: (مرحلة الممارسة العملية).

أهداف المرحلة:

١- ربط الآيات القرآنية بالسيرة النبوية.

obeikandl.com

٢- الممارسة العملية للتدبر أثناء القراءة.

الوسائل:

أولاً: استخدام أسلوب التكرار.

ثانيًا: استخدام أسلوب ضرب الأمثال.

ثالثًا: التعريف بأسماء الله الحسنى.

رابعًا: ربط الآيات القرآنية بالسيرة النبوية.

خامسًا: الترغيب في قيام الليل.

سادسًا: إبراز القدوات والنماذج (للمتدبرين).

سابعًا: استثمار الأحداث والمناسبات.

ثامنًا: تعريف المتعلمين بكيفية التدبر وأحواله.

المبحث الثالث:

المرحلة المتقدمة (مرحلة التدبر المتقَن).

وأهداف هذه المرحلة:

١- تكوين ملكة التفسير عند المتعلم.

٢- التعريف بعلم الوقف والابتداء.

٣- زيادة الوعي بأهمية قراءة القرآن بتدبر.

٤- القدرة على استخراج الحكم والاستنباطات.

أما وسائل هذه المرحلة:

أولًا: تعليم قواعد التفسير.

ثانيًا: تعليم أحكام الابتداء والوقف.

obeikandl.com

ثالثًا: التوجيه للتعمق في علوم اللغة العربية.

رابعًا: التدريب على استخراج الحكم والاستنباطات.

خامسًا: التربية على نشر (مفهوم التدبر والعلوم المستنبطة منه) في المجالس.

سادسًا: تعليم مهارات التفكير.

الفصل الخامس:

طرق تربية الذات على التدبر.

مقدمة:

أولًا: الإخلاص سر النجاح في التدبر والفهم.

ثانيًا: الاستعداد النفسي للتدبر.

ثالثًا: الدعاء بأن يرزقه الله التدبر.

رابعًا: مراقبة الإنسان لنفسه ومحاسبتها أثناء القراءة.

خامسًا: تعويد النفس على التأني في قراءة القرآن وعدم العجلة.

سادسًا: اعتبار الفرد أنه المقصود (وليس غيره) بكل خطاب في القرآن.

سابعًا: ملازمة الورد القرآني.

وكتبه

د. هاشم الأهدل

عضو هئية التدريس

جامعة أم القرى

obeikandl.com

obeikandl.com

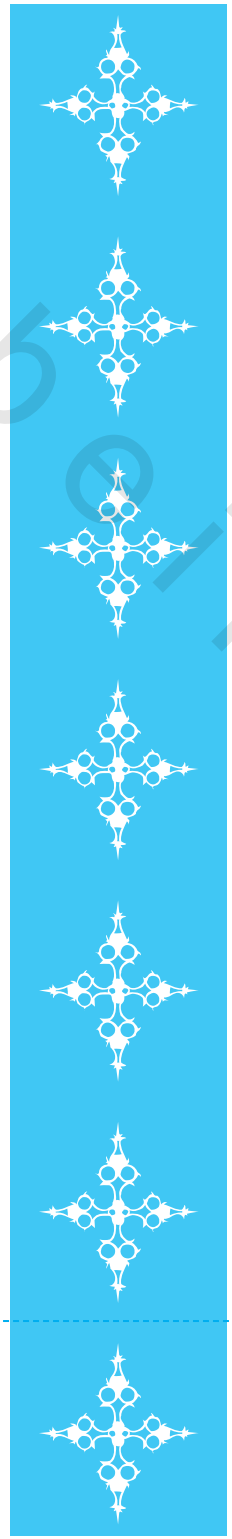

مداخلات الجلسة الثالثة

أ.د. حكمت بشير ياسين

المداخلة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى من والاه.. أما بعد:

فيطيب لي في هذه المناسبة المباركة أن أتقدم بالشكر الجزيل للإخوة القائمين على هذا المشروع المبارك، ولقد أفلحوا في اختيار هذا الموضوع الذي فيه إنقاذ لهذه الأمة، وفيه أيضًا إرشاد إلى الارتقاء بهذه الأمة، وقد رأيت التعريفات قد تعددت، ومن خلال استفادتي من هذه الورقات المباركة توصلت إلى تعريف للتدبر بأنه: (التأمل والنظر الثاقب في هداية القرآن الكريم.. استجابة لله عز وجل، من أجل ارتقاء الأمة، بل البشرية جميعًا)، أرجو أن نتأمل وأن نتدبر هذا التعريف، الذي أزعم أنه جامع ومقتبس من هذه الثمرات التي تمتعنا بها..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

obeikandl.com

obeikandl.com

د. خالد العجيمي

المداخلة الثانية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي..

أولًا: أيها الأحبة بعد الشكر والمقدمات التي أثني وأثلث وأربع بها على هذا الملتقى المبارك..

ثانيًا: اقتراحي.. أن الأشياء العلمية ستتجاوزها لأنها تأخذ وقتًا كثيرًا لكني سأذكر جانبًا عمليًّا مهمًّا في رأيي وهو: عناوين الأبحاث القادمة أو الملتقيات القادمة؛ لأن التدبر كتحرير وتأصيل -مع أهميته- أعتقد لا يغنينا عما يهم الإخوان في (جوال تدبر)، وما ينتج عنه من هيئة وغيرها، وهي: ميكانيكية التدبر، أو وسائل وآليات التدبر..

وأقول: إن العلماء والمختصين من المفسرين وأهل اللغة والعلوم المختلفة، سيستخرجون التدبر ويؤصلونه؛ لكن نحن محتاجون إلى الآليات والوسائل، ولا بد من استغلال أوعية المعرفة المختلفة، لإيصال التدبر إلى الناس كافة، فلا أرى أن يكون التدبر خاصًّا بكم أيها العلماء الأفذاذ، بل لا بد أن يصل إلى كل عامي وصغير

obeikandl.com

وكبير، وكذلك ما ذكرتموه من الحفَّاظ وطلاب المدارس وطالباتها، وكذلك المواقع الإلكترونية.. الباقات.. الوسائط الصوتية..فلا بد من العناية بهذا كله، لا أريد أن أطيل؛ لأن هذا على ما يبدو سيكون في لقاءات قادمة..

إنشاء قناة تلفزيونية، وإن لم يتحقق ذلك أرى أن نطور القنوات القرآنية وهي كثيرة -ولله الحمد- بأن تقدم في ختماتها وقرءاتها المتنوعة التدبر بدل كلمات وبيان، وأحيانًا تفسير وترجمة بالإنجليزية والفرنسية، فلا بد أن يوجد التدبر ضمن هذه الآيات في قنوات التلفزة.. وسيكون لذلك معنى مهم جدًّا للناس كافة.

إخراج وطباعة تفاسير مركزة، وأظن أن في سوريا الآن شيء من هذا القبيل، تعين على التدبر، فيحيط بالصفحة القرآنية مجموعة من الدرر التدبرية، وليست معاني ولا أسباب نزول، ولَعَلِّي ألفتُ النظر إلى نموذج سيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ظلال القرآن»، في الحقيقة هو جاء بنموذج رائع فريد، حتى في الفهارس التي تلت كتابه؛ فقد فهرست الآيات التي تتحدث عن اليوم الآخر.. أو الربا.. وهكذا، فأعتقد أن حضور هذه المنهجية في التفاسير جيد..

والتدبر يا أحباب -حسب فهمي- في ثلاثة مواطن:

في آيات القرآن المسطور، وفي آيات الكون المنظور، من خلال القرآن نفسه، والقرآن يحضنا على ذلك، بالمخلوقات والأنفس والكون، فأرى أنه من أهم ما يرتقى به يا أحباب..

ثالثًا: تدبر أسماء الله وصفاته العلا التي تختم به مئات الآيات القرآنية.. فأرجو أن لا يغفل مشايخنا عن ذلك.

وأقول: إن الجانب الذي أشار إليه د. الربيعة فيما يتعلق بإنشاء جمعيات وروابط

وهيئات، وخاصة موضوع الهيئة العالمية، حتى لو لم تشهر هنا، أو لم تأتِ في رابطة العالم الإسلامي، فسينظم إليها مئات بل ألوف من الناس؛ لأن الناس يحتاجون إلى مظلة...

أقول شيء مهم: موضوع ترجمات القرآن، بعد أحداث سبتمبر -بحكم احتكاكي بالندوة العالمية- أسلم كثير من الناس بسبب ترجمات معاني القرآن اليسيرة هذه، فلا تستقلوا هذا العمل المبارك..

وأسأل الله لي ولكم الثبات والتوفيق..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد،،،

obeikandl.com

obeikandl.com

أ. عادل المعاودة

المداخلة الثالثة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تعودت أن أورط نفسي، وفي الحقيقة تأثرًا بهذا الجو؛ فأقحمت نفسي كما أقحم الأعرابي نفسه بين النبي ﷺ ومعاذ بن جبل، فسأله النبي ﷺ: ماذا تقول في صلاتك؟ فعرف أنه ليس أهلاً لذلك البحر..

فأقول لكم كما قال الأعرابي: أما دندنتكم ودندنة معاذ فإني لا أفقهها..

وأشعر كأنني كـ(النون) بين (لنا) في هذا الجو العظيم وبين هؤلاء العلماء الجهابذة، الذين في الحقيقة أمتعونا بكتاب الله عز وجل.

لكن أبشركم نحن العوام نفهم التدبر بسهولة، كما نفهم آيات الصفات بدون تعقيدات المتحذلقين والمتكلمين، نقرأ آيات الصفات فنؤمن بها، ولم نشعر بمشكلة قط.. كذلك القرآن يقرأه العوام ويتلذذون به، وأذكر أن أحد الإخوة من غير أهل السنة، وقد تجاوز عمره السبعين عام، قرأ قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦]، فسبحان الله، سبعين عام، يقرأ القرآن كثيرًا؛ لكن في تلك اللحظة فتح الله عليه، فقال: الله يقول: وأزواجه أمهاتهم وأنا أسبهم وألعنهم؟!! فالتزم بمنهج أهل السنة والجماعة..

وهذا ليس معناه أننا لا نحتاج إلى هذه الدراسات، ولا إلى هذا التعمق، بل نحتاج ذلك من أهل الاختصاص..

وأبشركم أن هذا التدبر لم ينقطع عند الأمة؛ ولكنه ضعف، لذلك أشكر أخي الدكتور محمد الربيعة، الذي سمعت منه ومن الدكتور عبد الرحمن الشهري، كلمة في البحرين، قال: القرآن خُدِمَ طباعةً، وخُدِمَ تلاوةً، وخُدِمَ تفسيرًا؛ لكن أين الخدمة في التدبر؟ وهذا هو السؤال..

وحيرني أكثر سؤال د. عويض الذي قال: لماذا لم يخدم سابقًا؟

وحقيقة؛ حيرني وجلستُ أتساءل، هل نحن تعدينا الصواب؟ لكن قد نقول: ربما أنه خدم بأساليب مختلفة..

والتدبر لا يمكن أن يكون بدون حفظ القرآن وتلاوته وحفظ القراءات والتفسير.. كل ذلك مهم للتدبر بل لازم للتدبر، ولا يمكن أن يتدبر القرآن بدون هذه العلوم..

وأعتقد: أن واجب الأمة خدمة العلماء في هذا العمل الذي أعتقد أنه من أرجى وأفضل أعمال الأمة التي نسمع بها، ولذلك أتمنى، ودعوت الله عز وجل أن تتشرف البحرين بأحد هذه المؤتمرات.. وأرجو أن تكون قبل تبوك..

وجزاكم الله خيرًا،،،